

١- أن الموقف موقف مدح لشخصية ذات أهمية لذاتها لأنها شخصية ملك ، وذات أهمية للشاعر لأن هذا الملك أصبح مصدر أمن ومعيشة له ، فكيف يبدأ حديثه أو مدحه إياه بهذا الهم والحزن ؟ وقد يقال فإنه تقليد ، ولكنه جواب غير مقنع ، لأن التقليد لم يكن محصوراً فيما يوحى بالحزن والهم ، بل كان يشمل ألواناً عديدة تمثل كل المشاعر الحزينة والسعيدة ، وإذن فلجوء الشاعر إلى هذا أمر غير عادي يدعونا إلى الوقوف عنده .

٢- والمألوف أن الذي يعاني هما وضيقاً يلتمس وسيلة للتسلي والترويح عن النفس ، كما يصف البحترى أنه حيناً اشتدت عليه هموم تقلب الحياة والحظوظ به رحل إلى إيوان كسرى ليجد فيما أصابه من تقلب الزمان عزاء له حيث يقول :

حضرت رحلى الهموم فوجهت إلى أبيض الملائن عنسى^(٢٩)
أتسلى عن الحظوظ وآسى نخل من آل ساسان درس

وهذا شأن الناس في الهموم عادة ، وخير وسيلة يجد فيها الرجل أنساً لنفسه وترويحاً لضيقه هو المرأة عامة ، فضلاً عن امرأة معينة يهاها ، ولكن النابغة خرج على هذا المألوف ، فهو يحدثنا في مطلعته عن هموم لا حدود لها ، ولكنه مع ذلك يرفض أى وسيلة للترويح عن نفسه وهمه ، ولو كانت هذه الوسيلة امرأة معينة من الواضح أنه يهاها ولو تخيلاً ، فيطلب منها أن تتركه لهمومه وأحزانه (كليتي لهم يا أميمة) وإذن فهنا أمر غير مألوف أيضاً يدعونا إلى الوقوف عنده .

٣- والأصل في علاقة المرأة بالرجل أن تكون المرأة مطلوبة لا طالبة ، وهذا هو الوضع الطبيعي المألوف ، والأصل المألوف أيضاً ألا يرفض الرجل تودد المرأة إليه ، وخصوصاً إذا كانت امرأة معينة يهاها ، ولكن النابغة في مطلعته هنا يخرج على هذين العرفين المألوفين ، فيجعل أميمة ضمناً هي التي تسعى إلى وده ، ثم هو يرفض هذا التودد طالباً منها أن تتركه لما هو فيه .

وكل ذلك في مطلع النابغة خروج على المألوف ، والخروج على المألوف لا يخرج من غرابة ، ولعل ابن قتيبة لم يذكر لفظ الغرابة في نقده لهذا المطلع عفواً حين قال (لم يبتدىء أحد من المتقدمين بأحسن منه ولا أغرب) .